

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر الموسيقى العربية ٣٢

عنوان الدراسة: تأثير الغناء الشعبي الفلسطيني على
الأغنية السياسية المقاومة

الأستاذ الدكتور معتصم عديلة

فلسطين

٢٠٢٤

تأثير الغناء الشعبي الفلسطيني على الأغنية السياسية المقاومة

أ.د. معتصم عديلة

مقدمة:

لقد لعبت الأغنية الفلسطينية دوراً كبيراً في مواجهة إرهاب الاحتلال الإسرائيلي منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا، وذلك من خلال فضح ممارساته الوحشية من جهة، وزرع مفاهيم النضال والصمود في فكر ووجدان الإنسان الفلسطيني عبر الأجيال المتعاقبة من جهة أخرى، بحيث أصبحت هذه الأغنية روحاً تسري في جسد هذا الإنسان، وجزءاً أساسياً من حياته اليومية، مشكّلة له حالة ابداعية فنية، وأداة نضال لمواجهة إرهاب هذا الاحتلال الغاشم. فطموح الإنسان بأن يكون أقرب إلى الاكتمال دفعه إلى الإلتخاذ من الفن أداة ربط بين ذاته الضيقة والكيان المشترك لأفراد المجتمع، وبذلك وصل إلى فردية إجتماعية وقدرة غير محدودة للالتقاء بالآخرين، وفي الوضع الفلسطيني استطاعت الأغنية الفلسطينية أن تجسّد مفهوم الالتقاء بالآخرين من خلال ما حملته من مضامين تتعلّق بنضوج الوعي والفكر الجماهيري الغاضب والرافض للظلم والقهر وإرهاب الاحتلال، والساعي نحو تحقيق الذات المبدعة والتحرير والعودة.

فالغناء يعتبر من أقرب الفنون الى النفس البشرية، لما يمتلك من إمكانيات كبيرة في التعبير عن أحاسيس ووجدان كافة أفراد المجتمع، بالإضافة الى مقدرته على تجسيد فكرهم وفلسفتهم تجاه الحياة. فبالرغم مما يعرف عن الغناء من أنه فن شاعري وعاطفي، إلا أنه قادر على التحوّل والتكيّف، وبالتالي التعاطي مع كافة قضايا المجتمع، بما فيها الأحداث والقضايا المحورية الكبرى. إذ يمكن أن تتحوّل الأغنية إلى سلاح قوي وفَعَال يحقق ما لا تحقّقه الأسلحة العسكرية الفعلية في معارك التحرير والنضال والمقاومة. وهذا ما جسّدته الأغنية الفلسطينية عبر سنوات الاحتلال، بحيث حملت على عاتقها التأكيد على عروبة فلسطين، وفضح كافة ممارسات وإرهاب الإحتلال الإسرائيلي البغيض، وشحذ الهمم في مواجهة هذا العدو. كما واستمدّت الأغنية الفلسطينية المقاومة طابعها، وكذلك خط سيرها اللحني من الأغنية الشعبية الفولكلورية الفلسطينية، بحيث استلهمت شخصيتها من الظروف الحياتية التي عاشتها، هذه الظروف التي شكّلت لها شكلاً بنائياً وخطاً لحنياً نابعاً من عمق التراث الشعبي الموسيقي في فلسطين، وبذلك أضحت هذه الأغنية أقرب إلى تطورات لحنية متأثرة بروح هذا التراث.

وهذا البحث يسعى لدراسة الأغنية الفلسطينية المقاومة للاحتلال الإسرائيلي من داخلها؛ لاكتشاف كنوزها، والمعاني والقيم المخبوءة في ثناياها، وكذلك مدى تأثرها بالغناء الشعبي الفلسطيني. وقد سلك الباحث في هذه

الدراسة منهجين: المنهج الأول: المنهج التاريخي، في تقصي تطوّر الأغنية الفلسطينية من أواخر الحرب العالمية الأولى حتى اليوم. والمنهج الثاني: المنهج التحليلي؛ في تحليل هذه الأغنية، والاطلاع على ما احتوته من قيم وأفكار سواء في بعدها اللغوي أو بعدها اللحني.

المحور الأول: تطور الأغنية الفلسطينية المقاومة للاحتلال الإسرائيلي تاريخياً:

من الصعب التأريخ للأغنية الفلسطينية وخاصة الشعبية منها؛ ذلك لأن هذه الأغاني شفوية، يصعب تحديد الزّمان الذي نشأت فيه، إلا إذا اشتمل نصّها على اسم شخص نعرف تاريخه، أو اسم حادثة أو مناسبة قيلت فيها الأغنية. ومهما يكن من أمر فمن الممكن رسم ملامح عامة لتطور الأغنية الفلسطينية المقاومة على النحو التالي:

من المعلوم أن الحرب العالمية الأولى قد انتهت سنة ١٩١٨م، وقد مضى على فلسطين أربع مائة عام من الحكم العثماني، وحلّ محلّ الحكم العثماني لفلسطين الانتداب البريطاني، ذلك الانتداب الذي بدأ يعمل لتنفيذ وعد بلفور المشؤوم؛ مما أدى إلى انطلاق الثورات الفلسطينية الواحدة تلو الأخرى؛ للحيلولة دون تنفيذ وعد بلفور، فكانت ثورة: ١٩٢٠م، و١٩٢١م، و١٩٢٤م، و١٩٢٥م، و١٩٣٦م، و١٩٣٧م، واستمرت الثورات الفلسطينية حتى بداية الحرب العالمية الثانية^١. وكانت الأغنية الشعبية الفلسطينية تواكب هذه الثورات، وتوججها، وتنعى شهداءها، وتُسجّل أحداثها ووقائعها. ففي ١٧ حزيران ١٩٣٠ تم إعدام ثلاثة مناضلين قاوموا الاستعمار البريطاني، والأبطال المناضلون هم فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير. وعلى لحن أغنية الدلعونا الشعبية صيغت هذه الأغنية تمجيداً وتخليداً لذكراهم، وهي تقول:

محمد جمجوم ومع عطا الزير

فؤاد حجازي عز الذخير

أنظر المقدر والتقدير

بأحكام المولى تايعدمونا

^١ ينظر: الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة، لعبد اللطيف البرغوثي، من ص ١٦٧-ص ١٧١ بتصرف.

كذلك هذه الأغنية ذات اللحن والطابع الشعبي، والتي نظمت في ثورة عام ١٩٣٦، وتظهر مدى إصرار الفلسطينيين على النضال والمقاومة:

سجل يا قرن العشرين
ع اللي جرى بفلسطين
ثلث سنين بالليالي
ما نمنا بالعلالي
واحنا بروس الجبال
للحرب مستعدين
سجل يا قرن العشرين
على حكم الظالمين
سرقة أرض وهدم بيوت
وقتل بعراية وسخنين

وكذلك مطلع هذه الأغنية التي يعود لفترة أحداث ثورة عام ١٩٣٧:

فلسطين المنكوبة
أشرف بقعة محبوبة
في جهاد الاستعمار
رفعت راس العروبة
أم الدنيا القديمة
بلادي الرُّسل بنتها
إلها في العالم قيمة
كُتب السّما بتثبتها

انسحبت حكومة الانتداب من فلسطين في ١٤/٥/١٩٤٨م، وأعلن قيام دولة إسرائيل، ودخلت الجيوش العربية إلى فلسطين بقرار من جامعة الدول العربية في ١٥/٥/١٩٤٨م، ف وقعت نكبة فلسطين، وترتب عليها تهجير الفلسطينيين من معظم فلسطين التي احتلت سنة ١٩٤٨م. وفي سنة ١٩٥٠م ألحق ما تبقى من فلسطين،

مهرجان ومؤتمر الموسيقى العربية الثانى والثلاثون من ١٢ - ١٥ أكتوبر ٢٠٢٤

"الضفة الغربية" بالأردن، وقطاع غزة بمصر. وفي ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢م، كانت الثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر، وبرزت القومية العربية باثة الأمل بتحرير فلسطين، وكانت الأغنية الفلسطينية المقاومة حاضرة تصاحب هذا الأمل، فهذا مطلع أغنية يوضح مدى الحب الفلسطيني للرئيس جمال عبد الناصر كزعيم قادر على إحراز النصر ومؤهل لخوض معركة لتحرير فلسطين:

مكتوب على جبيننا

عبد الناصر حبيبنا

مكتوب على قلوبنا

عبد الناصر محبوبنا

وقامت منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة المرحوم أحمد الشقيري في غزة. ثمّ تلتها منظمة "فتح" كبرى الفصائل الفلسطينية التي أعلنت انطلاقها في ١/١/١٩٦٥م. وعبر سنوات الهدنة الطويلة من عام ١٩٤٩ الى عام ١٩٦٧ زاد الإسرائيليون من حقدهم وجورهم، وذلك بإرتكاب المزيد من الأعمال العدوانية والبربرية كمجزرة قبية عام ١٩٥٣، والهجوم على نحالين عام ١٩٥٤، وعلى غزة عام ١٩٥٥، وعلى قلقيلية منتصف عام ١٩٥٦، وهذا المطلع الغنائي يظهر مدى تأثير الأعمال العدوانية البربرية على ذاكرة الإنسان الفلسطيني:

والله ما أنساكم طول السنين

ذبحتو شعبي في دير ياسين

وقبية والسموع مع نحالين

يا صهيوني يا ابن الملعوننا

وفي يوم ١٩٦٧/٦/٥ كانت حرب الأيام الستة، فسقطت فلسطين كامل فلسطين، ومنها غزة وسيناء والجولان في يد الاحتلال الإسرائيلي. فأصيب العرب بآس شديد، وفي هذا الجو الكئيب بدأ بصيص أمل جديد مشرق في صورة العمل الفدائي الفلسطيني، الذي كان من أهم غذائه ودوافعه الأغنية الفلسطينية المقاومة، فظهرت أغنيات تدعو إلى المقاومة والعمل الفدائي ومن أمثلة ذلك:

^٢ أبو سرية، رجب (١٩٨٩). الأغنية السياسية الجديدة. دمشق: دار الأهالي للنشر والتوزيع. ص ٧٢

يا فدائي خذني لا حارب
علمني وخذني لا حارب
يا بلادنا علينا واجب
نفديك كبار وصغار

وفي سنة ١٩٧٠م، كانت الفاجعة بضرب العمل الفدائي، وموت جمال عبد الناصر. ثم كانت حرب رمضان سنة ١٩٧٣م، وتلتها مفاوضات كامب ديفيد، وفي سنة ١٩٨٢م غزت إسرائيل لبنان لإخراج المنظمات الفلسطينية منه، وفي ٩/١٢/١٩٨٧م، كانت مسيرة الإنتفاضة الفلسطينية المباركة، تلك الإنتفاضة التي خلقتها الأغنية الفلسطينية المقاومة. ومن أغاني الانتفاضات الفلسطينية المتعاقبة والمستمرة حتى اليوم، ومنها انتفاضة الحجارة، الأغنية التالية^٣:

في وسط الشارع جيب حجار وسد
وولّع للعجال، وصد أعدائنا
في الانتفاضة ثار الشعب ثار
على المحتلين، على الاستعمار
بعجال وبحجار وبقزائيز نار
نطرد المحتل، ونحرر أرضنا
غزة والخليل ثارت بالحجار
ورام الله وجنين، وجبل النار

وتلى ذلك معاهدة أوسلو فتحوّلت المنظمات من العمل العسكري إلى العمل السياسي، وفي خضم هذه الأحداث المتعاقبة كانت الأغنية الفلسطينية المقاومة مستمرة، فتراجعت منظمة التحرير عن الكفاح المسلح، ولكن الأغنية الفلسطينية لم تتراجع عن تحميس الشعب لمقاومة المحتل. فالشعب الفلسطيني بأطيافه كلها ثار على العدو المدجج بالسلاح، ثار هذا الشعب بأبسط الأدوات ومنها الحجارة، وحرق الإطارات في وجه الاحتلال، ومضت الانتفاضة المباركة، لا تبقى ولا تذر تزلزل كيان العدو المحتل، وتقض مضاجعه.

^٣الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة، عبد اللطيف البرغوثي، ص: ١٨٢.

مهرجان ومؤتمر الموسيقى العربية الثانى والثلاثون من ١٢ - ١٥ أكتوبر ٢٠٢٤

ورغم اتخاذ العدو لجميع أساليب القمع والبطش والتتكيل، وبناء جدار الفصل العنصري، والتصفيات الجسدية، والسجون والمعتقلات والغرامات المالية، والتهديد والوعيد، إلا إن الانتفاضة الفلسطينية قد تطوّرت فمن انتفاضة الحجارة، إلى انتفاضة الأقصى المباركة، انتفاضة السلاح الأبيض والسكاكين، تلك الانتفاضة، التي عطّلت جميع أسلحة العدو، وأدوات قتاله، وأتته من حيث لا يحتسب، وقذفت الرُّعب في قلوب جنوده، فغدى يرتجف ويطلق النار على الشباب لأتفه الأسباب.

وتتغنى أغنية ثانية بأطفال الحجارة الفلسطينيين، أولئك الأطفال الأبرياء الذين حققوا التوازن العسكري مع العدو الصهيوني، لا بل تفوّقوا عليه في مواجهة أعتى أسلحته، وما كلّوا، وما وهنوا لما أصابهم، وهم على العهد ماضون، تقول الأغنية^٤:

أطفال الحجارة عالمزلي تمردوا

بوجه العدا سلاح التحدي جرّدوا

شعلوا الأرض بالنار وزلزال الغضب

وحموا الحما بالدم وغنو وزغردو

مهروا الوطن بالدم بجروح الغدا

وبركان حقدو فجروا بوجه العدا

طُلي يا دنيا تفرجي وفينا اكبري

وشوفي البطولة، وكيف ما نهاب الرّدى

وشوفي البطولة كيف، وشوفي المرجلي

بساح العدا، وخيل الكرامة تعتلي

شوفي انتفاضة أهلنا عالاحتلال

بالقدس وعنّها وعن بلاطه أسألي

هالانتفاضة يا عرب مالها حدود

وفيها شعبنا الحر بصفوفها جنود

^٤المصدر السابق نفسه، ص: ١٨٤-١٨٥.

في هذا الموكب كانت ولا زالت الأغنية الفلسطينية تتناغم مع الأحداث وتسايرها، وتدفعها إلى الأمام، وتغذي وتشحن القلوب بالإقدام على العدو ومواجهته، والتصدي لمخططاته، وتحديه، وعدم الاستكانة في وجهه. ورغم أن الأغنية الفلسطينية المقاومة قد قيلت باللهجة العامية الفلسطينية المحكية - على الرغم من ذلك - فهي قادرة على أداء وظيفتها كوساطة للتعبير الفعّال، لمواجهة الاحتلال. فأطفال فلسطين تمرّدوا على الذل والهوان، وتحّدوا العدو الإسرائيلي، وضحوأ بدمائهم، وجعلوا الأرض ناراً تحت أقدام أعدائهم، وقد ظهرت وتجلّت بطولاتهم للعالم أجمع، وهكذا امتدت انتفاضات هذا الشعب المباركة من القدس الشريف إلى باقي أراضي فلسطين المقاومة للعدو العاشم، ولا نهاية لها حتى يرحل العدو المحتل عن أرض فلسطين.

المحور الثاني: تحليل نماذج من أغاني المقاومة الفلسطينية:

من الأغاني المقاومة لإرهاب الاحتلال الإسرائيلي والمواكبة للأحداث، والباثة للحماس في النفوس، والتي تقترن فيها الكلمة بالسلاح جنباً إلى جنب، تلك الأغاني التي ظهرت أثناء انطلاقة الثورة الفلسطينية في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، من القرن الماضي، فالسلاح يحدث اختراقاً بالجسد، وكذلك الكلمة لا تقل أهمية عن السلاح فهي تخترق الأذن محدثة تغييراً وتأثيراً قد يتفوق على السلاح.

وسيقوم الباحث في هذا المحور بتدوين وتحليل ودراسة ثلاثة أغنيات كنماذج على أغاني الثورة الفلسطينية التي ظهرت في أواخر الستينيات، وبداية السبعينيات، للتعرف على طابعها وخصائصها ومميزاتها اللحنية، ومدى تأثرها بالأغنية الشعبية، وكذلك دورها في مواجهة إرهاب الاحتلال الإسرائيلي.

النموذج الأول: أغنية "يا شعبنا هز البارود":

- كلمات الأغنية:

يا شعبنا هز البارود يا شعبنا

سمع الدنيا هدا صوت رصاصنا

قسماً ما نرمي سلاحنا من يدنا

إلا بعد ما نحرك يا أرضنا

يا شعبنا هز البارود هز البارود

الشعب ثار شق الطريق بقوته
ولا قوة بالعالم بتوقف ثورته
بدمه ورمصاص اليوم يصنع عزته
هز العدو من زحفنا وتصميمنا
يا شعبنا هز البارود هز البارود

الحل ما حدا علينا بيفرضه
وأى حل عن غير طريقنا بنرفضه
عدونا كل الحلول بييردها
واحننا كمان الحل داخل يدنا
يا شعبنا هز البارود هز البارود

هي عبارة واحدة شعبنا شال البارود
رفض الحكي رفض الورق رفض الوعود
مباركة يا ثورة الشعب المجيد
ترخص لك أموالنا وأرواحنا
يا شعبنا هز البارود هز البارود

مباركة يا ثورة الشعب المجيد
ترخص لك أموالنا وأرواحنا
يا شعبنا هز البارود هز البارود

- الدلالات اللغوية:

يلاحظ في هذه الأغنية تكرار اللازمة التي يقول فيها المغني: " يا شعبنا هز البارود" ست مرات، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الشعب الفلسطيني قد حمل السلاح للدفاع عن وطنه ومقدساته، معتمداً على الله - عزَّ وجلَّ- ثم على نفسه، غير هيَّاب ولا وِجِلٍ من قوة وارهاب العدو. ويقسم الثَّوار في الأغنية قسماً عظيماً بالله العلي العظيم: أنهم لا ولن يلقوا سلاحهم حتى يُحرِّروا أرضهم من عدوهم المغتصب لها. ثم تسترسل الأغنية في رفض جميع الحلول الاستسلامية، التي هي مجرد حبر على ورق، ووعود كاذبة، كالسراب الذي يظنُّه العطشان ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده ماءً بل يجده خداعاً ووهماً. وتمضي الأغنية في وصف الثورة الفلسطينية بأنها ثورة "مباركة" والبركة هي استقرار الخير العظيم في الشيء ودوامه، ولما كانت الثورة الفلسطينية على هذه الصفة والوصف فهي تستحق من الشعب الفلسطيني بذل كل نفس من الأرواح الزكية، والدماء الغالية الطاهرة، وكل نفيس من الأموال لإمداد هذه الثورة بعناصر البقاء والاستمرار.

- التدوين الموسيقي:

يا شعبنا هز البارود

Moderato

- خط سير اللحن، ودلالاته:

المقطع الأول:

مهرجان ومؤتمر الموسيقى العربية الثانی والثلاثون من ١٢ - ١٥ أكتوبر ٢٠٢٤

- يأتي لحن هذا المقطع على سلم مقام هزام على درجة السیکا، بطابع عام يتجه نحو الأسلوب الشعبي، ويظهر ذلك جليًا في المازورة الأولى والثانية المستوحاة من موسيقى الفولكلور الشعبي الفلسطيني، والتي يمكن أن تشكّل بحد ذاتها دائرة لحنية مستقلة.
- إن بداية الأغنية بنغمة الرصد ثم الدوكاه كتمهيد للوصول إلى نغمة الارتكاز والاستقرار عليها من خلال تكرارها ثم الدوران حولها بمسافات بسيطة يأتي شبيها بنمط الأغنية الشعبية.
- إن صعود اللحن في المازورة الخامسة على الدرجة الثالثة للمقام والتي تعتبر نغمة قوية في المقام والتركيز عليها من خلال تكرارها عدة مرات يعطي اللحن قوة، وتأكيدا على المعنى اللغوي الذي حمله نص الأغنية.
- إن القفزة ذات المسافة الرابعة بين المازورة السادسة والسابعة، والتي استقر بها اللحن على درجة الكردان ساعدت في تعميق قوة اللحن والتأكيد على معنى النص، كما وقامت بإخراج اللحن عن سياق الأغنية الشعبية البسيطة، بحيث أصبح أكثر إحترافية.
- يعود اللحن في مازورته التاسعة إلى نقطة البداية بحيث يعود لطابعه الشعبي منهيًا جملته بقفزة مفاجئة على درجات جواب النغمات الأوائل التي بدء بها اللحن، ما أعطى اللحن بعدا حماسيا موازيا لمعنى النص اللغوي ومؤكدا عليه، وبالرغم من قوة طابع هذه النهاية إلا أنها جاءت على الدرجة الأساسية للمقام، ما أعطى اللحن شعورا بالاستقرار وقد تم استخدامها أيضا كقفلة لمجمل العمل.

المقطع الثاني:

- في المقطع الثاني ينتقل اللحن إلى سلم مقام بيات على درجة النوى، ما يعطى الأغنية جوا تنغميا أقرب إلى البعد العاطفي منه إلى الحماسي، حيث يتجه اللحن نوعا ما نحو التطريب، وذلك في المازورة الأولى وحتى الرابعة من هذا المقطع.
- سرعا ما يعود اللحن إلى طابعه الحماسي والقوي في المازورة الخامسة وحتى الثامنة، وذلك من خلال قفزته لنغمة الكردان، وتكرارها عدة مرات بحيث تأخذ طابع الهتاف الجماهيري الأقرب للأغنية الشعبية مؤكدة على المعنى القوي والاصرار الذي يحمله نص الأغنية، كما ووظفت لحنيا بطريقة ساعدت على عودة اللحن إلى مقام الهزام.

- ويلاحظ أن الطابع العام لإيقاع الأغنية جاء منسجماً بشكل كبير مع معنى ودلالات نص الأغنية بحيث كان من أهم عوامل تأكيد المعنى المراد إيصاله.

النموذج الثانى: أغنية " طالع لك يا عدوي طالع":

- كلمات الأغنية:

طالع لك يا عدوي طالع
من كل بيت وحارة وشارع
بسلاحي وإيماني طالع
وحرينا حرب الشوارع
طالع لك يا عدوي طالع
من كل حيطة وباب طايحين
بقنابلنا اليدوية وبالسكاكين
أعلنا الحرب الشعبية
طالع لك يا عدوي طالع
وحرينا حرب الشوارع
قسما ما تقلت يا عدوي
من يد الثورة والشعب
وين تقلت من طوق النار
والجماهير سادين الدرب
طالع لك يا عدوي طالع

- الدلالات اللغوية:

ويلاحظ في هذه الأغنية كسابقها تكرار اللازمة: " طالع لك يا عدوي طالع". أربع مرات، وهذا التكرار لزيادة ارباب العدو وتخويفه، كما ويقسم الثوار بالله العلي العظيم كما ورد في الأغنية السابقة بأن هذا العدو المحتل لا ولن يفلت من يد الثورة والثوار، ولنسوف يُحاسب على جرائمه حساباً عسيراً.

ونجد في الأغنية عنصرَي الإيمان، والعزيمة على مقاومة الطغيان، وهما صنوان لا يفترقان، ودافعان قَوِيَّان من دوافع الشَّهادة والتضحية من أجل فلسطين الحبيبة، ويُلاحظ في الأغنية كذلك عدم استهانة المقاتل الفلسطيني بالسلاح مهما كان متواضعاً، ولو كان قنبلة يدوية، أو سكيناً، فهذا السلاح لا يُفْتُ في عزيمة الثَّوار، ولا يقف عائقاً في وجوههم في مواجهة المحتلين الارهابيين المدججين بالسَّلاح والعتاد.

وقد كانت هذه الأغنية أيقونة الثورة الفلسطينية تُتلى عبر إذاعة العاصفة، صوت الثورة الفلسطينية، وكانت غذاءً سائغاً للثورة الفلسطينية. ومن الأغاني التي لا تقل أثراً في الثوار عن سابقتها.

- التدوين الموسيقي:

طالعك يا عدوي طالع

Moderato

fine.

- خط سير اللحن، ودلالاته:

المقطع الاول:

- تأتي هذه الأغنية على سلم مقام بيات على الدوكاه، حيث يبدأ اللحن في مازورته الاولى والثانية في المقطع الأول متصاعداً من درجة الراسـت مكرراً درجة الاستقرار (الدوكاه) وصولاً إلى نغمة النوى، ما يصبغه بطابع الغناء الشعبي. ثم يتمحور حول نغمة النوى ليهبط متجهاً نحو الدوكاه، ليخدم بذلك

مهرجان ومؤتمر الموسيقى العربية الثانی والثلاثون من ١٢ - ١٥ أكتوبر ٢٠٢٤

طبيعة النص الذي يعبر عنه، إذ ان حالة تصاعد النغمات في اللحن أعطت شعورا بحالة التدرج في مواجهة العدو، وهو ما يتفق بشكل كبير مع معنى النص، ثم يعيد اللحن نفسه مرة أخرى في المازورة الثالثة والرابعة تأكيدا على المعنى.

- أما في المازورة الخامسة وحتى العاشرة يأخذ اللحن منحى هتافي جماهيري بحيث يقترب من الطابع الشعبي لأغاني المسيرة في الغناء الشعبي الفلسطيني، وذلك من خلال تكرار نفس النغمة كما هو واضح في المازورة الخامسة، حيث تم التركيز على نغمة الجهاركاه من خلال تكرارها عدة مرات، وكذلك في المازورة السادسة حيث تم التركيز على نغمة النوى، ليواصل اللحن تصاعده ليصل قمته على نغمة الأوج والتي يتمحور حولها مؤكدا على طابع الهتاف الجماهيري، ليعود في المازورة ١١ و ١٢ لنفس الدائرة اللحنية التي بدأ بها، والتي ينهي بها الأغنية لاحقا.

المقطع الثاني:

- في هذا المقطع يزداد اللحن قوة وحماسا بإتجاهه نحو أسلوب الهتاف الجماهيري أكثر، ما يعمق من التصاق الطابع اللحني مع المعاني الثورية والمقاومة التي حملها النص اللغوي، وذلك من خلال تكثيف إعتداد الخط اللحني على تكرار النغمة الواحدة، حيث ركز على نغمات الحسيني والنوى لينتهي هذا المقطع مستقرا على الدرجة الأساسية للمقام. وكل ذلك يقرب اللحن من طابع الغناء الشعبي الفلسطيني. - ويتميز إيقاع هذه الأغنية بقوة نبرته، والتي زادت من قوته وحماسته مؤكدة أيضا على المعاني التي حملها نص الأغنية.

النموذج الثالث: أغنية "حين يصيح البروقي":

- كلمات الأغنية:

حين يصيح البروقي ما في عوقي

كلاشينكوفي يسابقني يطير من شوقي

والشوق يا يمة رصاص داوي

وإيدين تشد من ليلى خيط شروقي

حين يصيح البروقي وتحين النزلة يا يمة

نتسابق أنا ورفيقي وننهض بسلاحنا يا يمة

لو ميت دبابة قدامي ولو ميت طيارة من فوقي
بجعل درع من صدري واحمي رفيقي
بايدي أشد من ليلي خيط شروقي
حين يصيح البروقي
ناقش إسمك يا يمة على كعب البارودة
وان خلص مني رصاصي بضرب بقبضة إيدي
لو ميت دبابة قدامي ولو ميت طيارة من فوقي
بجعل درع من صدري واحمي رفيقي
بايدي أشد من ليلي خيط شروقي
حين يصيح البروقي

- الدلالات اللغوية:

تظهر الأغنية روح الفداء والتضحية العالية عند الفدائيين الفلسطينيين، أولئك الأبطال الذين يتسابقون على الموت فداءً للوطن فلسطين، ولا يخشون في ذلك لومة لائم، ولا يهابون إرهاب العدو ولا دباباته ولا طياراته، ولو كانت واقفة أمامهم، أو تحوم في الجو من فوقهم، فأصرارهم على الاستشهاد والشهادة أقوى من كل ذلك. كما وتبرز الأغنية تلك الرابطة القوية بين الثائر وأمه التي نقش الثائر اسمها على كعب بارودته، ليقاتل بسلاحه حتى النهاية، ولا يفر من المعركة. وهذه الأغنية تكاد تكون ملحمة فلسطينية خالدة، وقد كانت هذه الأغنية بحق وحقيقة تعمل في النفوس عمل السحر في القلوب، فيمضي الثوار الفلسطينيون، متسابقين للقتال والشهادة والاستشهاد، مُزلزين مواقع العدو، غير حاسبين للموت في سبيل الله - عز وجل - ثم في سبيل الوطن أي حساب.

- التدوين الموسيقي:

حين يصيح البروقي

Allegro

- خط سير اللحن، ودلالاته:

المقطع الأول:

- يبدأ لحن هذه الأغنية في مقطعها الأول على سلم مقام هزام على درجة السيكّا، ومن خلال تتبع خط سير لحن هذا المقطع وكذلك دراسة طابعه، يظهر جلياً بأن هذا المقطع أيضاً لم يخرج في سياق طابعه العام، وخاصة في الموازير الثلاثة الأولى عن طابع الغناء الشعبي، إذ يمكن أن تشكل هذه الموازير الثلاثة الأولى دائرة لحنية مستقلة بحد ذاتها.
- يبدأ اللحن بتصاعد نغمي متسلسل من نغمة الرصد وصولاً إلى النوى، ويهبط بنفس الأسلوب وكأنها دعوة لتحفيز الهمم على المقاومة ليخدم اللحن بذلك المعنى الذي يحمله نص الأغنية.
- ثم يتصاعد اللحن تدريجياً ليخرج من الإطار التحفيزي إلى إطار أكثر حماس وقوة بقفزة على نغمة الحصار، ويتابع صعوده ليلاصق نغمة الكردان حيث يصل لحن هذا المقطع إلى أوجه ليعاود الهبوط سريعاً مستقراً على نغمة الارتكاز.

المقطع الثاني:

- في المقطع الثاني ينتقل اللحن إلى سلم مقام بيات على درجة النوى، مشكلاً حالة تطريبية تميل نحو الحماس والقوة، خاصة أنه ينهي الفكرة اللحنية على درجة العجم عشيران، بدلاً من أن يستقر على النغمة الأساسية للمقام، وذلك في المازورة الأولى وحتى الخامسة.
- بعد ذلك يأخذ اللحن طابعاً أقرب إلى الهتاف مقترباً من طابع أغاني المسيرة الشعبية، معتمداً على نفس النغمات، وبدرجات تصاعديّة كتكرار نغمة الكردان، ثم نغمة المحير، ثم عودة إلى الكردان، ثم المحير، حتى يصل هذا المقطع إلى ذروته محققاً القوة اللحنية التي تتناسب ومعنى النص الذي تحمله الاغنية.
- أما الطابع العام لايقاع هذه الأغنية فهو يميل إلى السرعة والقوة مقترباً من المارش العسكري نوعاً ما، ليتفق بشكل كبير مع حس القوة والرجولة التي تحملها معاني الاغنية.

وهكذا يخلص الباحث إلى أن الأغنية الفلسطينية المقاومة في بعدها اللغوي تسير على خطى الأغنية الشعبية الفلسطينية فهي نظير لشعرنا باللغة العربية الفصيحة، بل هي رديف ذلك كله؛ فهي تكمل منظوم الفصحى، وتتناول كل الموضوعات التي تتناولها الفصحى من مدح وفخر وهجاء ورتاء وحماسة، وغير ذلك من موضوعات الفصحى. ومن الغريب أن تكون الأغنية المقاومة أصق مواكبة للأحداث في فلسطين، فما من واقعة، أو معركة، أو حادثة، أو ثورة فلسطينية، إلا وسجلتها هذه الأغنية تسجيلاً فعّالاً؛ فهي تدخل إلى قلب الأحداث في لحظة وقوعها، وتعطينا صورة واضحة المعالم عنها.

ولعلّ من أسباب خلود الأغنية الفلسطينية المقاومة بنصّها الشعبي إذا ما قيست بالشعر الفصيح، تلك المصادقية العالية لهذه الأغنية، مع عفويتها، وارتجالها، وخلوّها من التصنّع والتأمل الذي يكون في القصيدة الفصحى. ويلمس الناظر في تاريخ الشعب الفلسطيني كثرة الأغاني الفلسطينية المقاومة؛ ولعلّ ذلك راجع إلى ما عاناه الشعب الفلسطيني من حروب، وثورات ونكبات، ونكسات، وظلم.

كما واعتمدت الأغنية الفلسطينية المقاومة أيضاً في بنائها الموسيقي على طابع الألحان الشعبية الفولكلورية الفلسطينية، فإستوتحت سمات شخصيتها من الظروف الحياتية التي عاشتها، حيث إستطاعت هذه الظروف أن تحدّد لها منهجاً وخطاً لحنياً نابعاً من عمق التراث الشعبي الموسيقي في فلسطين، وبذلك أصبحت هذه الأغنية أشبه بتطوّرات لحنية متأثرة بروح هذا التراث. ولقد تميزت ألحان الأغنية الفلسطينية المقاومة بقدرتها على

التعبير عن المعنى الذي حملته النص الشعري للأغنية من خلال طابعها اللحني القوي القادر على شحذ الهمم وتعميق حس المقاومة، بالإضافة إلى قوة الطابع الايقاعي الذي ينسجم بشكل كبير أيضا مع دلالات النص ما ساعد في تأكيد المعنى المراد إيصاله.

وهكذا تنتهي هذه الدراسة بهذه التوصيات:

- لابد من جمع الأغاني الفلسطينية المقاومة، وتدوينها، خوفاً عليها من الضياع والاندثار.
- لابد من مزيد من الدراسات حول هذه الأغاني لاستخلاص العطر منها، والعبرة من وجودها - فرغم وجود بعض الدراسات حولها - ما زلت بكرةً تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، ولعلّ من أفود الدراسات حول هذه الأغنية هي الدراسة التي تعالجها من الداخل، وتسبر غورها، وتتلمّس القيم الخالدة التي تتضمنها هذه الأغاني.
- لابد من دراستها من الداخل للوقوف على كنوزها وخبايها.
- لا بد من مزيد من الندوات والمؤتمرات حولها، حفاظاً عليها، وتطويراً للدراسات الحديثة والنوعية حولها.

المصادر والمراجع:

- أبو سرية، رجب (١٩٨٩). الأغنية السياسية الجديدة. دمشق: دار الأهالي للنشر والتوزيع.
- البرغوثي، عبد اللطيف (١٩٩٠). الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة. رام الله: نشر مركز إحياء التراث العربي.
- حسونة، خليل إبراهيم (٢٠٠٥). الأغنية والأغنية السياسية الفلسطينية. الطبعة الأولى، غزة: نشر مكتبة اليازجي.
- فتّاش، عبد الكريم (٢٠١١). مؤتمر الأدب الشعبي الأول. إصدار: وزارة الثقافة الفلسطينية، الإدارة العامة للأدب، بمناسبة صيف جنين الثقافي.
- سرحان، نمر (١٩٨٩). موسوعة الفولكلور الفلسطيني. الجزء الأول، الثالث، الطبعة الثانية، عمان، الأردن.
- الحلو، أحمد صالح، موقع الشبكة العنكبوتية " الإنترنت": www.palstinerenenuered.com
- عديلة، معتصم (٢٠٠٩). ثقافة المقاومة في الأغنية النسائية الفلسطينية. بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، فلسطين.

ملخص البحث

تأثير الغناء الشعبي الفلسطيني على

الأغنية السياسية المقاومة

أ.د. معتصم عديلة

يعطي هذا البحث تصوراً موجزاً عن الأغنية الفلسطينية السياسية المقاومة لإرهاب الاحتلال الإسرائيلي الجاثم على صدر الشعب الفلسطيني المرابط، كما ويوضح مدى تأثيرها بالغناء الشعبي، ويتكون البحث من مقدمة ومحاورين، وخاتمة، أما محوري الدراسة فهما:

المحور الأول: تطور الأغنية الفلسطينية المقاومة للاحتلال تاريخياً، حيث أورد الباحث فيه نبذة موجزة عن تاريخ هذه الأغنية وتطورها الزمني.

المحور الثاني: تحليل أغنيات كنماذج من الأغاني الفلسطينية السياسية المقاومة، وفي هذا المحور دُون وحلّل ودرس الباحث ثلاث أغاني تتعلق بالمقاومة الفلسطينية، انطلقت في بداية الثورة الفلسطينية في أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضي، للاطلاع على ما احتوته من قيم وأفكار سواء في بعدها اللغوي أو بعدها اللحني، مركّزا على دلالاتها اللغوية، وكذلك دلالات خط سيرها اللحني حيث استلهمت شخصيتها من الظروف الحياتية التي عاشتها، هذه الظروف التي شكلت لها شكلاً بنائياً وخطاً لحنياً نابغاً من عمق التراث الشعبي الموسيقي في فلسطين، وبذلك أضحت هذه الأغنية أقرب إلى تطورات لحنية متأثرة بروح هذا التراث. كما وكشف البحث عن الدور المتميز لهذه الأغنية في تعزيز صمود الشعب الفلسطيني في وجه الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وإلهاب مشاعر الفلسطينيين في التصدي لإرهاب هذا الاحتلال البغيض ومقارعته.

الكلمات الدالة: الأغنية الفلسطينية، المقاومة، الشعب الفلسطيني، الاحتلال الإسرائيلي، الإرهاب.

Research Summary The influence of Palestinian Traditional Singing on Political Resistant Lyric

Prof. Dr. Mutasem Adileh

This research gives a brief overview of the Palestinian political song resisting the terrorism of the Israeli occupation on the Palestinians. It also explains the extent to which it is influenced by traditional singing. The research consists of an introduction, two topics and a conclusion. The two topics of the study are:

The first topic: The development of the Palestinian song resisting the occupation historically. The researcher provided a brief overview of the history of this song and its chronological development.

The second topic: The analysis of the lyrics as an example of Palestinian political resistant songs. In this topic, the researcher recorded, analyzed, and studied three songs related to Palestinian resistance, which were launched at the beginning of the Palestinian revolution in the late sixties and early seventies of the last century, to understand the values and ideas they contained, both linguistically and melodically, while focusing on their connotations which were inspired by the life circumstances. These circumstances formed a structural form and a melodic line stemming from the depth of the popular musical heritage in Palestine. Thus, this song got closer to the melodic development, influenced by this heritage. The research also revealed the distinguished role of this song in strengthening the steadfastness (Sumood) of the Palestinian people in the face of the Israeli occupation of Palestine and inflaming the feelings of the Palestinians in confronting and combating the terrorism of this hateful occupation.

Keywords: Palestinian song, resistance, Palestinians, Israeli occupation, terrorism.